

تفسير البحر المحيط

@ 316 @ القصة ، وقص الحديث حتى يتبين له براءته بياناً مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل . ومن كرم يوسف عليه السلام أنه لم يذكر زوج العزيز مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب ، واقتصر على ذكر المقطعات الأيدي . وقرأ أبو حيوة وأبو بكر عن عاصم في رواية النسوة بضم النون ، وقرأت فرقة اللاي بالياء ، وكلاهما جمع التي . إن ربي أي : إن □ بكيدهن عليم . أراد أن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا □ لبعده عوده ، واستشهد بعلم □ على أنهن كدنه ، وأنه بريء مما قذف به . أو أراد الوعيد لهن ، أو هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه ، ففي ذلك استشهاد به وتقريع . وما ذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لا يسوغ ، والضمير في بكيدهن عائد على النسوة المذكورات لا للجنس ، لأنها حالة توقيف على ذنب . قال : ما خطبكن في الكلام حذف تقديره : فرجع الرسول فأخبره بما قال يوسف ، فجمع الملك النسوة وامرأة اعزير وقال لهن : ما خطبكن ؟ وهذا استدعاء منه أن يعلمنه بالقصة ، ونزه جانب يوسف بقوله : إذ راودتن يوسف عن نفسه ، ومراودتهن له قولهن ليوسف : أطع مولاتك . وقال الزمخشري : هل وجدت من ميلاً لكن قلن : حاش □ تعجباً من عفته ، وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ، ومن نزاهته عنها . وقال ابن عطية : أجاب النساء بجواب جيد تظهر منه براءة أنفسهن جملة ، وأعطين يوسف بعض براءة ، وذلك أن الملك لما قرره أنهن راودته قلن جواباً عن ذلك : حاش □ . ويحتمل أن يكون قولهن : حاش □ ، في جهة يوسف عليه السلام . وقولهن ما علمنا عليه من سوء ليس بإبراء تام ، وإنما كان الإبراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في جهتهن ، فلما سمعت امرأة العزيز مقالتهن وحيدتهن عن الوقوع في الخزي قالت : الآن حصص الحق . وقرء حصص على البناء للمفعول ، أقرت على نفسها بالمرادة ، والتزمت الذنب ، وأبرأت يوسف البراءة التامة . .

{ ذَالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْذُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبْرِءُ نَفْسِي إِلَّا نَفْسِي لَامَّارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } : الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل تحت قوله : قالت . والمعنى : ذلك الإقرار والاعتراف بالحق ، ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته والذب عنه ، وأرميه بذنب هو منه بريء . ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها : وما أبرء نفسي ، والنفوس مائلة إلى الشهوات إمارة بالسوء . وقال الزمخشري : وما أبرء نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين

قذفته وقلت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن ، وأودعته السجن تريد الاعتذار
لما كان منها أن كل نفس لأمانة بالسوء إلا نفساً رحمها الله بالعمصة إن ربي غفور رحيم ،
استغفرت ربيها واسترحمتها مما ارتكبت . ومن ذهب إلى أن قوله : ذلك ليعلم إلى آخره ، من
كلام يوسف يحتاج إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ، ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف .
فقال ابن جريج : في الكلام تقديم وتأخير ، وهذا الكلام متصل بقول يوسف : إن ربي بكيدهن
عليم ، وعلى هذا فالإشارة بقوله ذلك إلى إلقاءه في السجن والتماسه البراءة أي : هذا
العلم سيدي أني لم أخنه . وقال بعضهم : إنما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة
العزير كلامها إلى قولها : وإنه لمن الصادقين ، فالإشارة على هذا إلى قولها وصنع الله فيه
، وهذا يضعف ، لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك . فكيف يقول الملك بعد ذلك :
ائتوني به ؟ وفسر الزمخشري الآية أولاً على أنها من كلام يوسف فقال : أي ذلك التثبت
والتشمر لظهور البراءة ، ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب في حرمة ، وأن الله لا
يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده ، وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها في أمانة زوجها
، وبه في خيانتها أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه . ويجوز أن يكون تأكيداً
لأمانته ، وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيد ، ولا سدده ، ثم أراد أن يتواضع ويهضم
نفسه لئلا يكون لها مزكياً ، ولحالتها في الأمانة معجباً كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم
(: أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده ، وإنما هو
بتوفيق الله ولطفه وعصمته . فقال : وما أبرء نفسي من الزلل ، وما أشهد لها بالبراءة
الكلية ، ولا أزكيها ، إن النفس لأمانة بالسوء . أراد